الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله
في ضوء عقيدة أهل السـنة

د. ناصر بن عبدالرحمن بن محمد الجديع
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ـ كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله
في ضوء عقيدة أهل السنة

د. ناصر بن عبدالرحمن بن محمد الجديع
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

الأمن من مكر الله تعالى هو عدم توقع معاقبة الله على الذنوب وزوال الخوف مما يؤدي إلى ارتكاب المعاصي والاستمرار عليها، فهو غلو في الرجاء، ومقتضى مذهب غلاة المرجئة. والقنوط من رحمة الله هو اليأس من رحمته تعالى، وقطع الرجاء بحصولها، مما يؤدي إلى ترك العمل الصالح، فهو غلو في الخوف، ومقتضى مذهب الوعيدية (الخوارج والمعتزلة).وكل من الأمن من مكر الله تعالى والقنوط من رحمته سبحانه نهى عنه الإسلام نهياً بليغاً، ويترتب على كل واحد منهما لوازم فاسدة، وآثار عقدية خطيرة، وحكمهما قد يصل إلى حد الكفر الناقل عن الملة. والبديل الشرعي عنهما: الخوف والرجاء، وهما متلازمان، فلابد من الخوف حتى لا يكون الإنسان آمناً مكر الله تعالى، ولابد أيضاً من الرجاء حتى لا يكون الإنسان قانطاً من رحمة الله تعالى.

المقدمــة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، وسلّم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فقد اخترت الكتابة في موضوع (الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله في ضوء عقيدة أهل السنة) لما يأتي:

١-أن الأمن من مكر الله تعالى، والقنوط من رحمته نهى عنهما الإسلام نهياً بليغاً، وأنه يترتب على كل واحد منهما لوازم فاسدة، وآثار عقدية خطيرة، وأن حكمهما قد يصل إلى حد الكفر الأكبر الناقل عن الملة.

٢-أن كلاً منهما غلو في الدين، فالأمن غلو في الرجاء، والقنوط غلو في الخوف.

٣-عدم اطلاعي على بحث في هذا الموضوع.

وأود أن أنبه إلى أن من أسباب بحث هذين الأمرين معا ـ أعني الأمن والقنوط ـ تحت عنوان واحد: التقابل الحاصل بينهما.

فالأمن من مكر الله تعالى يدخل ضمن دائرة التفريط، والقنوط من رحمة الله يدخل ضمن دائرة الإفراط.

والأمن من مكر الله تعالى مقتض مذهب غلاة المرجئة، والقنوط من رحمة الله مقتض مذهب الوعيدية (الخوارج والمعتزلة).

كما أن هناك قواسم مشتركة بينهما في الأحكام والنتائج.

فلما تقدم رغبت في الكتابة في هذا الموضوع الهام، وتجليته، وبيان أحكامه وفق عقيدة أهل السنة والجماعة ـ أصحاب المنهج الصحيح والوسط ـ المتبعين لهدي النبي محمد ﷺ، من الصحابة الكرام، رضي الله عنهم، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين رحمهم الله جميعاً.

وقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة.

الفصل الأول: الأمن من مكر الله تعالى.

المبحث الأول: مفهوم الأمن من مكر الله تعالى.

المبحث الثاني: حكم الأمن من مكر الله تعالى، والأدلة على ذلك.

المبحث الثالث: أسباب الأمن من مكر الله تعالى، وصلته بالإرجاء.

الفصل الثاني: القنوط من رحمة الله تعالى.

المبحث الأول: مفهوم القنوط من رحمة الله تعالى.

المبحث الثاني: حكم القنوط من رحمة الله تعالى، والأدلة على ذلك.

المبحث الثالث: أسباب القنوط من رحمة الله تعالى، وصلته بالوعيدية.

الفصل الثالث: تقرير مذهب أهل السنة في الأمن والقنوط.

المبحث الأول: مذهب أهل السنة في هذه المسألة إجمالاً.

المبحث الثاني: نماذج من أقوال أهل السنة عن الأمن والقنوط.

الخاتمة.

وقد سلكت في كتابة هذا البحث منهج الاستدلال والاستنباط متبعاً قواعد البحث العلمي المعروفة.

هذا وأسأل الله تعالى التوفيق للجميع إنه سميع مجيب، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

الفصل الأول :الأمن من مكر الله تعالى:

المبحث الأول: مفهوم الأمن من مكر الله تعالى:

المطلب الأول: معنى الأمن من مكر الله تعالى:

تعريف الأمن لغة واصطلاحاً:

جاء في (الصحاح): (أَمِنْتُ فأنا آمِن، وآمنتُ غيري، من الأمْن والأمان.. والأمْن: ضد الخوف)[1].

وجاء في (القاموس): أمِن أمْناً وأماناً وأَمَناً وأَمَنَةً وإمْناً، وقد أَمِنَه وأَمَّنَه تأميناً، والأمن: ضد الخوف [2].

وفي (المصباح المنير): (أمِنَ زيد الأسد أمناً، وأمِنَ منه، مثل سَلِم منه وزناً ومعنى، والأصل أن يستعمل في سكون القلب...

وأمِن البلد: اطمأنّ به أهله، فهو آمِنٌ وأمين، وهو مأمون الغائلة: أي ليس له غول ولا مكر يُخشى)[3].

فأصل الأمن لغة: طمأنينة النفس، وزوال الخوف [4].

وتعريف الأمن اصطلاحاً: عدم توقع مكروه في الزمان الآتي [5].

ومن المعلوم أن من أسماء الله تعالى (المؤمن) كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾ [6].

ومن معاني (المؤمن) الأمان (كما تقول: آمن فلان فلاناً، أي أعطاه أماناً ليسكن إليه ويأمن، فكذلك أيضاً يقال: (الله المؤمن) أي يؤمن عباده المؤمنين، فلا يأمن إلا من آمنه)[7].

بيان المراد بمكر الله تعالى:

المكر من صفات الله تعالى الفعلية.

قال تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [8] وقال: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا

---

(١) الصحاح للجوهري ٥/ ٢٠٧١.

(٢) من كتاب القاموس المحيط للفيروزآبادي ١/ ١٨٠ بتصرف.

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي ١/ ٢٤.

(٤) انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٢٥، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص٩٤.

(٥) التعريفات للجرجاني ص٣٧، التوقيف على مهمات التعاريف ص٩٤.

(٦) سورة الحشر، الآية (٢٣).

(٧) اشتقاق أسماء الله تعالى للزجاجي ص٢٢١، ٢٢٢، وانظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/ ٦٩.

(٨) سورة الأنفال، الآية (٣٠).

مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [1]، وغير ذلك من الآيات الكريمة الدالة على هذه الصفة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت٧٢٨هـ) مقرراً ذلك: (وصف الله نفسه بالمكر والكيد، كما وصف عبده بذلك، فقال: ﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ ﴾ [2] ﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴾ [3] وليس المكر كالمكر، ولا الكيد كالكيد)[4] أي أن مكر الله تعالى ليس كالمكر من المخلوقين.

قال الفراء رحمه الله (ت٢٠٧هـ): (والمكر من الله استدراج، لا على مكر المخلوقين)[5].

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله (ت٥٠٢هـ): المكر ضربان: مكر محمود، وهو أن يتحرى به فعل جميل، كقول الله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [6] ومذموم وهو أن يتحري به فعل قبيح، كقول الله تعالى: ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ ﴾ [7] وقال تعالى في الأمرين ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا ﴾ [8][9].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً المراد بمكر الله تعالى: (ومكر الله أن يعاقبه على سيئاته.. ومكره أن يعاقبه على الذنب لكن من حيث لا يشعر)[10].

ولما سئل الشيخ محمد بن عثيمين (ت١٤٢١هـ): هل يوصف الله تعالى بالمكر؟ وهل يسمى به؟ أجاب رحمه الله: (لا يوصف الله تعالى بالمكر إلا مقيداً، فلا يوصف الله تعالى به وصفاً مطلقاً.. والمكر هو التوصل إلى إيقاع الخصم من حيث لا يشعر..

فإن قيل: كيف يوصف الله بالمكر مع أن ظاهره أنه مذموم؟

قيل: إن المكر في محله محمود يدل على قوة الماكر، وأنه غالب على خصمه، ولذلك لا يوصف الله به على الإطلاق، فلا يجوز أن تقول: (إن الله ماكر! وإنما تذكر هذه الصفة في مقام

---

(١) سورة النمل، الآية (٥٠).

(٢) سورة الأنفال، الآية (٣٠).

(٣) سورة الطارق، الآيتان (١٥، ١٦).

(٤) التدمرية ص٢٦.

(٥) معاني القرآن ٢١٨/١.

(٦) سورة آل عمران، الآية (٥٤)، وسورة الأنفال، الآية (٣٠).

(٧) سورة النمل، الآية (٥١).

(٨) سورة النمل، الآية (٥٠).

(٩) المفردات في غريب القرآن ص٤٧١ باختصار.

(١٠) المستدرك على مجموع الفتاوى لمحمد بن قاسم ٢٨/١.

يكون مدحاً، مثل قوله تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ (١) وقوله ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٢) ومثل قوله تعالى ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾ (٣) ولا تنفي عنه هذه الصفة على سبيل الإطلاق، بل إنها في المقام التي تكون مدحاً يوصف بها، وفي المقام التي لا تكون مدحاً لا يوصف بها.

وكذلك لا يسمى الله به، فلا يقال: إن من أسماء الله الماكر)(٤).

وعلى هذا فمكر الله تعالى بمعنى معاقبة الله للمذنب على ذنبه من حيث لا يشعر.

وهو في حق الله تعالى صفة كمال، لأنه على سبيل الجزاء والعدل (٥)، بخلاف مكر المخلوقين، الذين يحصل منهم الاحتيال على الآخرين سعياً بالفساد وفعل القبيح.

ويؤخذ مما تقدم من تعريف الأمن وبيان المراد بمكر الله تعالى أن معنى الأمن من مكر الله تعالى: عدم توقع معاقبة الله تعالى على الذنوب، وزوال الخوف، مما يؤدي إلى ارتكاب المعاصي والاستمرار عليها.

وقد عرفه بعض العلماء بقوله: الاسترسال في المعاصي مع الاتكال على الرحمة (٦).

قال ابن جرير الطبري رحمه الله (ت٣١٠هـ) في تفسير قول الله تعالى ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَسِرُونَ ﴾ (٧): (يقول تعالى ذكره: أفأمن يا محمد هؤلاء الذين يكذِّبون الله ورسوله ويجحدون آياته استدراج الله إياهم بما أنعم به عليهم في دنياهم من صحة الأبدان ورخاء العيش، كما استدرج الذين قصّ عليهم قصصهم من الأمم قبلهم، فإن مكر الله لا يأمنه، يقول: لا يأمن من ذلك أن يكون استدراجاً مع مقامهم على كفرهم وإصرارهم على معصيتهم إلا القوم الخاسرون وهم الهالكون)(٨).

فمن علامات الأمن من مكر الله إذن الإصرار على المعاصي مع استدراج الله تعالى بالنعم.

وقد جاء في الحديث (إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٣٠).

(٢) سورة النمل، الآية (٥٠).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٩٩).

(٤) المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٦٥/٢.

(٥) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١١١/٧.

(٦) الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر المكي الهيتمي ١٨٥/١.

(٧) سورة الأعراف، الآية (٩٩).

(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩/٩.

استدراج) ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[1][2].

المطلب الثاني: الفرق بين الأمن من مكر الله والرجاء:

قد يظن أحد أن الأمن من مكر الله تعالى هو بمعنى الرجاء المشروع، ولهذا اقتضى الأمر بيان الفرق بينهما.

وقبل ذلك لابد من إعطاء القارئ نبذة عن الرجاء ومنزلته في الدين.

فالرجاء في اللغة العربية بمعنى التوقع والأمل[3]، يقال: رجوت الأمر أرجوه رجاءً[4].

ويستعمل الرجاء بمعنى الخوف، لأن الراجي يخاف أنه لا يدرك ما يترجاه[5]، كما قال تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾[6] أي لا تخافون من بأس الله ونقمته[7].

والرجاء في الاصطلاح عرف بعدة تعريفات:

فقال الراغب رحمه الله: (هو ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة)[8].

وقال ابن القيم رحمه (ت ٧١٥هـ): (الرجاء: حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب، وهو الله والدار الآخرة، ويطيّب لها المسير.

وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه.

وقيل: هو الثقة بجود الرب تعالى)[9].

وقال الجرجاني رحمه الله (ت ٨١٧هـ): (الرجاء في الاصطلاح: تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل)[10].

---

(١) سورة الأنعام، الآية (٤٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ١٤٥، وراه ابن جرير في تفسيره ٧/ ١٢٤، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٢٤٧ وغيرهم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، وحسنه صاحب كتاب النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد، لجاسم الدوسري (ص١٩٤، ١٩٥ رقم ٣٩٤).

(٣) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٤٩٤، النهاية ٢/ ٢٠٧، التعريفات ص١٠٩.

(٤) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٤٩٤، النهاية ٢/ ٢٠٧.

(٥) المصباح المنير ١/ ٢٢١.

(٦) سورة نوح، الآية (١٣).

(٧) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٢٦.

(٨) المفردات ص١٩٠.

(٩) مدارج السالكين ٢/ ٣٥.

(١٠) التعريفات ص١٠٩.

ومما ذكر المناوي رحمه الله (ت١٠٣١هـ) من تعاريف الرجاء قوله: (الرجاء: ترقب الانتفاع بما تقدم له سبب ما)[1].

ويستفاد من التعريفات السابقة أن معنى الرجاء: الأمل في حصول الخير في المستقبل، والثقة بما عند الله تبارك وتعالى، وترقب المجازاة على العمل الصالح.

والرجاء أحد أركان العبودية الثلاثة (المحبة، والخوف، والرجاء) التي تجمعها هذه الآية الكريمة: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾[2][3].

وابتغاء الوسيلة إلى الله طلب القرب منه بالعبودية والمحبة[4].

ومما يدل على أهمية منزلة الرجاء في العبادة قول الله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾[5].

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[7].

وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[8].

وجاء في صحيح مسلم رحمه الله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاث يقول: (لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل)[9].

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف ص٣٥٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية (٥٧).

(٣) قال ابن مسعود رضي الله عنه: (نزلت الآية في نفر من الرب كانوا يعبدون نفراً من الجن، فأسلم الجنيّون، ولم يعلم الإنس الذين كانوا يعبدونهم بإسلامهم، فتمسكوا بعبادتهم، فعيّرهم الله وأنزل هذه الآية) تفسير البغوي ٣/١٢٠.

(٤) مدارج السالكين ٢/٣٥.

(٥) سورة الأحزاب، الآية (٢١).

(٦) سورة البقرة، الآية (٢١٨).

(٧) سورة الزمر، الآية (٩).

(٨) سورة يونس، الآيتان (٧، ٨).

(٩) صحيح مسلم ٤/٢٢٠٦ كتاب الجنة، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، رقم الحديث (٢٨٧٧).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء المكروب: (اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين)[1] الحديث.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله مبيناً منزلة الرجاء: (الرجاء من أجلِّ المنازل وأعلاها وأشرفها، وعليه وعلى الحب والخوف مدار السير إلى الله، ولولا الرجاء لعطِّلت عبودية القلب والجوارح، بل لولا الرجاء لما تحرّكت الجوارح بالطاعة)[2].

وقال معللاً ضرورة الرجاء لكل عابد: (فإنه دائر بين ذنب يرجو غفرانه، وعيب يرجو إصلاحه، وعمل صالح يرجو قبوله، واستقامة يرجو حصولها ودوامها، وقرب من الله ومنزلة عنده يرجو وصوله إليها)[3].

وبعد هذا العرض المختصر لمعنى الرجاء ومنزلته في العبادة، وحيث سبق في المطلب الأول بيان معنى الأمن من مكر الله تعالى، فلعله اتضح أن هناك فرقاً عظيماً بينهما.

ذلك أن الأمن من مكر الله تعالى يدفع صاحبه إلى ارتكاب المعاصي والاستمرار عليها غير خائف من عقاب الله.

بينما الرجاء يحدو صاحبه إلى طاعة الله راجياً ثوابه، وإذا اقترف ذنباً تاب منه راجياً مغفرة الله، وهو في الحالتين خائف من فوات ما رجاه.

هذا هو الرجاء الشرعي المحمود [4]، حيث يتضمن العمل والخوف.

أما من يتمادى في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمنّي والرجاء الكاذب، وهو رجاء مذموم[5].

ولابد في الرجاء من الخوف - كما تقدم - فإن الرجاء يستلزم الخوف، وكل راج خائف من فوات مرجوه [6].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٥/ ٣٢٦ كتاب الأدب (٥٠٩٠)، والإمام أحمد في مسنده ٥/ ٤٢ من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، وقال محققو المسند: إسناده حسن في المتابعات والشواهد (٣٤/ ٧٥).

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٤١، ٤٢ باختصار.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٤٣.

(٤) انظر: المرجع السابق ٢/ ٣٦، فتح الباري ١١/ ٣٠١.

(٥) انظر مدارج السالكين ٢/ ٣٦، مختصر منهاج القاصدين لأحمد بن محمد المقدسي ص٣١٧، فتح الباري ٣٠١/١١.

(٦) مدارج السالكين ٢/ ٥١.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمناً)[1].

ومن الأدلة على أن الرجاء المشروع لابد فيه من العمل وإلا أصبح أمناً وغروراً وأماني، قوله الله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [2].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله مقرراً هذه المسألة: (فمن كان رجاؤه جاذباً له على الطاعة، زاجراً له عن المعصية فهو رجاء صحيح، ومن كانت بطالته رجاءً، ورجاؤه بطالة وتفريطاً فهو المغرور، ولو أن رجلاً كانت له أرض يؤمل أن يعود عليه من مغلّها ما ينفعه فأهملها، ولم يبذرها ولم يحرثها، وأحسن ظنه بأنه يأتي من مغلّها ما يأتي من غير حرث وبذر وسقي وتعاهد الأرض لعده الناس من أسفه السفهاء.. فكذلك من حسن ظنه وقوي رجاؤه في الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم من غير طاعة ولا تقرب إلى الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ [3] فتأمل كيف جعل رجاءهم بإتيانهم بهذه الطاعات.. وسر المسألة أن الرجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته، فيأتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه ويرجوه ألا يكله إليها، وأن يجعلها موصلة إلى ما ينفعه، ويصرف ما يعرضها ويبطل أثرها)[4].

وبما تقدم استبان لنا الفرق الكبير بين الأمن من مكر الله تعالى والرجاء.

بل يلاحظ أن الأمن قد يحصل بسبب الغلو في الرجاء، لأنه يفضي إلى الأمن من عقاب الله [5].

ولذا كان الرجاء أمراً مشروعاً محموداً، بخلاف الأمن من مكر الله الذي سيأتي بيان حكمه بالتفصيل في المبحث التالي بإذن الله تعالى.

* * *

---

(١) مجموع الفتاوى ٢١/٧.

(٢) سورة الكهف، الآية (١١٠).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢١٨).

(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص٢٤، وانظر مختصر منهاج القاصدين ص٣١٧، ٣١٨.

(٥) انظر شرح العقيدة الطحاوية للشيخ عبد الرحمن البراك ص٢٢٢.

المبحث الثاني: حكم الأمن من مكر الله تعالى والأدلة على ذلك:

الأمن من مكر الله تعالى محرم، بل هو من أعظم الذنوب، ويدل على ذلك ما يأتي:

١- أن الأمن من مكر الله تعالى من سمات الكفار والمنافقين:

قال الله تعالى ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [1].

قال ابن كثير رحمه الله (ت ٧٧٤هـ) (أفأمن أهل القرى) أي الكافرة [2]، والاستفهام للإنكار.

ثم قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [3].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: (أفأمن يا محمد هؤلاء الذين كذبوا الله ورسوله، ويجحدون آياته استدراج الله إياهم.. فإن مكر الله لا يأمنه أن يكون استدراجاً. مع مقامهم على كفرهم وإصرارهم على معصيتهم. إلا القوم الخاسرون، وهم الهالكون)[4].

والمراد والله أعلم خسران كفر، لأن هذه الآيات في بيان أهل القرى الكافرة، فهم يخسرون رحمة الله تعالى في الآخرة.

وقد روى ابن جرير بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (كل شيء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل (خاسر) فإنما يعني به الكفر)[5].

فالأمن من مكر الله تعالى من سمات الكفار.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (المؤمن يخاف مكر الله، والكافر لا يخشى الله، فلا يخاف مكره)[6].

وقال الله تعالى أيضاً محذراً من إيقاع عقوبته بأصحاب الذنوب الذين أمنوا عقوبته وعذابه: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [7] الآيات.

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان (٩٧، ٩٨).

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٢٣٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية (٩٩).

(٤) تفسير الطبري ٩/٩.

(٥) انظر تفسير الطبري ١/١٨٥.

(٦) المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية ١/٢٨.

(٧) سورة النحل، الآية (٤٥).

وقال: ﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [1] الآية.

قال ابن كثير: (أي أفأمن هؤلاء المشركون بالله أن يأتيهم أمر يغشاهم من حيث لا يشعرون) [2].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [3].

أي إن الذين لا يخافون لقاء الله يوم القيامة، فهم لذلك مكذبون بالثواب والعقاب، متنافسون في الدنيا وزخارفها، راضون بها عوضاً عن الآخرة مطمئنين إليها ساكنين، هؤلاء مأواهم يوم معادهم النار جزاءً على ما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام [4].

وروى ابن جرير الطبري رحمه الله عن الحسن البصري رحمه الله أنه كان يقول: (إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمناً) ثم تلا الحسن: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [5][6].

فالأمن من مكر الله تعالى من سمات المنافقين أيضاً.

٢-أن الأمن من مكر الله تعالى من أكبر الكبائر.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر فقال: (الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، وهذا أكبر الكبائر)[7].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله)[8].

---

(١) سورة يوسف، الآية (١٠٧).

(٢) تفسير ابن كثير ٤٩٦/٢.

(٣) سورة يونس، الآيتان (٧، ٨).

(٤) انظر تفسير الطبري ٨٧/١١، تفسير ابن كثير ٤٠٨/٢.

(٥) سورة المؤمنون، الآيات (٥٧. ٦٠).

(٦) تفسير الطبري ٣٢/١٨.

(٧) رواه ابن أبي حاتم. كما في تفسير ابن كثير ٤٨٥/١. وقد أخرج البزار أوله (كشف الأستار عن زوائد البزار ٧١/١) وقال الهيثمي: رواه البزار والطبراني، ورجاله موثقون (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٠٤/١) وقال ابن كثير في تفسيره: (وفي إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً) ٤٨٥/١، وقد حسّن إسناده صاحب كتاب النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد ص١٩٥.

(٨) رواه عبد الرزاق في المصنف ٤٥٩/١٠، ٤٦٠، ورواه ابن جرير في تفسيره ٤٠/٥، وقال ابن كثير في تفسيره: (وهو صحيح إليه بلا شك) ٤٨٥/١، وقال الهيثمي: إسناده صحيح (مجمع الزوائد ١٠٤/١).

ولما ذكر ابن القيم رحمه الله الأمثلة على الكبائر المتعلقة بالقلب عدّ منها: الأمن من مكر الله، ثم قال عن هذه الكبائر: (هي أشد تحريماً من الزنا، وشرب الخمر، وغيرهما من الكبائر الظاهرة)[1].

واعتبر الذهبي رحمه الله (ت٧٤٨هـ) (الأمن من مكر الله تعالى) كبيرة في كتابه (الكبائر)[2].

وعدّ ابن حجر الهيتمي رحمه الله (ت ٩٧٤) (الأمن من مكر الله) من ضمن الكبائر الباطنة في كتابه (الزواجر عن اقتراف الكبار)[3]، وقال: إن الكبائر الباطنة أخطر من الكبائر الظاهرة[4].

٣- ما يترتب على الأمن من مكر الله تعالى من اللوازم الفاسدة والآثار الخطيرة، ومنها يأتي:

١) أن الأمن من عذاب الله تعالى يتضمن التكذيب بوعيد الله تعالى[5].

والوعيد يشمل العقوبة الدنيوية، والعقوبات الأخروية بالنار وغيرها.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: (إن من أمن من عذاب الله فإنه لم يصدق بالجزاء على الأعمال، ولا آمن بالرسل عليهم الصلاة والسلام حقيقة الإيمان)[6].

ونصوص الوعيد في القرآن والسنة مشهورة معروفة، كما أن الإيمان باليوم الآخر وما يتضمنه من الثواب والعقاب أحد أركان الإيمان الستة.

٢) من الآثار الخطيرة للأمن من مكر الله تعالى على المؤمن المتصف بذلك أنه قد يسلب ما معه من الإيمان [7].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي (ت١٣٧٦هـ) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ [8]: (هذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ على أن العبد لا

---

(١) انظر مدارج السالكين ١١٣/١.

(٢) ص٩٦.

(٣) ١٨٥/١.

(٤) ٥٢/١.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية للشيخ عبد الرحمن البراك ص٢٢٢.

(٦) تفسير ابن سعدي ص٢٦١.

(٧) انظر مختصر منهاج القاصدين ص٣٢٩ فما بعدها.

(٨) سورة الأعراف، الآية (٩٩).

ينبغي له أن يكون آمناً على ما معه من الإيمان.

بل لا يزال خائفاً وجلاً أن يُبتلى ببلية تسلب ما معه من الإيمان، وأنه لا يزال داعياً بقوله: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)[1] وأن يعمل ويسعى في كل سبب يخلصه من الشر عند وقوع الفتن، فإن العبدَ ـ ولو بلغت به الحال ما بلغت ـ ليس على يقين من السلامة)[2].

٣) ما تقدم في المبحث السابق من أن الأمن من مكر الله تعالى يعني زوال الخوف، مع الاسترسال في المعاصي، وترك العمل.

وبعد عرض الأدلة على تحريم الأمن من مكر الله من الكتاب والسنة وبيان ما يترتب عليه من المفاسد فإلى أي حد يصل هذا التحريم[3]؟.

لعل التحقيق في هذه المسألة كما يأتي:

١- إن صدر الأمن من مكر الله تعالى من الكفار أو المنافقين فلا ريب أنه كفر، لكونهم أصلاً كفار.

٢- وإن صدر الأمن من مكر الله تعالى من مسلم فلا يخلو الأمر:

أ- إما أن يكون الأمن متمكناً في القلب، بأن يعتقد الشخص أنه في مأمن من عذاب الله ومكره، ومقتضى ذلك ترك العمل، والاستخفاف بوعيد الله تعالى، فهذا كفر ناقل عن الملة، لأن صاحبه قد عطل العمل الذي هو أحد عناصر الإيمان، ولأن مضمونه التكذيب بنصوص الوعيد في القرآن والسنة، ولو كان يخاف من العذاب ويستحضره لأوجب ذلك خوفَه من الله، وقيامه بالواجبات، واجتنابه للمحرمات، لكن لابد أن يُعلم أن تكفير المعين لا يتم إلا إذا تحققت شروطه وانتفت موانعه.

وعلى هذا يحمل قول الطحاوي رحمه الله (ت٣٢١هـ): (والأمن والإياس ينقلان عن ملة

---

(١) عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)، قالت: فقلت يا رسول الله: أوَإن القلوب لتتقلب؟ قال: (نعم، ما من خلق الله من بني آدم من بشر إلا وإن قلبه بين إصبعين من أصابع الله، فإن شاء عز وجل أقامه، وإن شاء أزاغه..) الحديث.

أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ٣٠٢، والترمذي في سننه ٥/ ٣٨، كتاب الدعوات رقم الحديث (٣٥٢٢) وقال الترمذي: وفي الباب عن عائشة والنوّاس بن سمعان وأنس وجابر وعبد الله بن عمرو ونعيم بن عمار قال: وهذا حديث حسن.

(٢) تفسير ابن سعدي ص٢٦١.

(٣) انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ١/ ٥١٩، ٥٢٠، تفسير القاسمي (محاسن التأويل) ٥/ ٢٢٢، ٢٢٣، شرح العقيدة الطحاوية للبراك ص٢٢٢.

الإسلام)[1].

ب- وإما أن يكون الأمن عارضاً ناتجاً عن الغفلة، وليس عن اعتقاد أنه في مأمن من عذاب الله، ولم يصل إلى حد الإخلال بالواجبات، فهذا لا شك في حرمته، لكنه لا يصل إلى حد الكفر، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) العقيدة الطحاوية ص٢١.

المبحث الثالث :أسباب الأمن من مكر الله تعالى، وصلته بالإرجاء :

المطلب الأول: أسباب الأمن من مكر الله تعالى:

إن ما يحصل من الأمن من مكر الله تعالى عند الكفار والمنافقين فسببه واضح: الكفر بالله تعالى ورسله واليوم الآخر.

أما ما يحصل عند غيرهم فله عدة أسباب، ويمكن بيانها فيما يأتي:

١-الجهل بالله تعالى، وضعف الإيمان به.

لا ريب أن الجهل بالله تعالى وما يجب له داء ذميم، ويؤدي إلى الوقوع في أخطاء كثيرة ومفاسد عظيمة.

ومن ذلك الأمن من مكر الله تعالى وعقابه، وعدم الخوف منه لغلبة الجهل وضعف الإيمان.

قال ابن القيم رحمه الله لما ذكر الأمثلة على الكبائر الباطنة المتعلقة بالقلب، وعد منها الأمن من مكر الله تعالى: (وهذه الآفات إنما تنشأ من الجهل بعبودية القلب، وترك القيام بها)[١].

والعلم بالله تعالى وبأسمائه وصفاته، وما يجب له وما يمتنع عنه هو العاصم بإذن الله تعالى عن مفاسد الجهل.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٢].

وكلما ازداد العبد معرفة بربه ودينه كلما كان أحرى بالقيام بعبادته جل وعلا وخشيته كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [٣] فلابد من تعلم أحكام الدين ليعبد المسلم ربه على بصيرة، مع الحرص على بذل الوسع في تقوية الإيمان بالله تعالى.

٢. الإعراض عن الدين، والغفلة عن حقوق الله تعالى.

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله مبيناً أحد أسباب الأمن من مكر الله تعالى: (إعراض العبد عن الدين، وغفلته عن معرفة ربه، وماله من الحقوق، وتهاونه بذلك، فلا يزال معرضاً غافلاً، مقصراً عن الواجبات، منهمكاً في المحرمات، حتى يضمحل خوف الله من قلبه، ولا يبقى في قلبه من الإيمان شيء، لأن الإيمان يحمل على خوف الله، وخوف عقابه الدنيوي

---

(١) مدارج السالكين ١/١١٣.

(٢) سورة الزمر، الآية (٩).

(٣) سورة فاطر، الآية (٢٨).

والأخروي)[1].

٣-الإعجاب بالنفس والاغترار بالحسنات.

وفي ذلك يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي مبيناً سبباً آخر من أسباب الأمن من مكر الله تعالى: (أن يكون العبد عابداً جاهلاً، معجباً بنفسه، مغروراً بعمله، فلا يزال به جهله حتى يُدلّ بعمله، ويزول الخوف عنه، ويرى أن له عند الله المقامات العالية، فيصير آمناً من مكر الله، متكلاً على نفسه الضعيفة المهينة، ومن هنا يُخذل، ويُحال بينه وبين التوفيق، إذ هو الذي جنى على نفسه)[2].

فلو بلغ العبد من الطاعة ما بلغ فلا ينبغي له أن يفارقه الحذر من مكر الله تعالى، وقد خافه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خيار خلق الله وصفوته من عباده[3].

٤-الفرح بالنعم، والانشغال بذلك عن المنعم سبحانه وتعالى.

من طبيعة الفرح أنه يبسط النفس، وينسيها عيوبها، والفرح بالنعمة قد ينسي المنعم بها، فلا يشكره عليها، ويغيب عن شهود حقيقة قول الله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [4].

ومن كانت هذه حاله يُخشى أن يمكر الله به إن لم يكن الخوف مقارناً للفرح، قال تعالى ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [5] فالفرح متى كان بالله، وبما منّ الله به مقارناً للخوف والحذر لم يضرّ صاحبه، ومتى خلا من ذلك ضرّه ولابد [6].

٥-حب الدّعة والشهوات، واستثقال الفرائض والواجبات.

الركون إلى الشهوات ـ وخاصة المحرمة ـ والتعلق بها ينسي طاعة الله تعالى ومراقبته، كما قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [7] الآية.

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (للإمام محمد بن عبد الوهاب) ص١٢٢.

(٢) المرجع السابق ص١٢٢، ١٢٣.

(٣) انظر مدارج السالكين ٣/ ١٠٧ فما بعدها.

(٤) سورة النحل، الآية (٥٣).

(٥) سورة الأنعام، الآية (٤٤).

(٦) مدارج السالكين ٣/ ١٠٦-١٠٩ باختصار.

(٧) سورة مريم، الآية (٥٩).

وبذلك يضعف إيمان المتعلق بالشهوات، ويضمحل خوفه من الله، وينسى الدار الآخرة وما أعد الله فيها لأوليائه وأعدائه.

٦ - الغلو في الرجاء.

تقدم في المبحث السابق الإشارة إلى أن الغلو في الرجاء يؤدي إلى الأمن من مكر الله تعالى.

وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن بن سعدي من الأخلاق الرذيلة التي يُخشى على العبد منها: (أن يتجارى به الرجاء حتى يأمن مكر الله وعقوبته، فمتى بلغت به الحال إلى هذا فقد ضيع واجب الخوف والرجاء، اللذين هما من أكبر أصول التوحيد وواجبات الإيمان)[١].

ويدخل ضمن هذا السبب الأخير: الغلو عند بعض المرجئة، كما سيأتي بيانه.

فلابد إذن من تجنب هذه الأسباب ونحوها، والابتعاد عنها للخلاص من داء الأمن من مكر الله تعالى.

المطلب الثاني: صلة الأمن من مكر الله تعالى بالإرجاء:

الإرجاء لغة: التأخير، يقال: أرجأتُ الأمر، وأرجيته، إذا أخرّته[٢].

والإرجاء هو معتقد الفرقة المشهورة: المرجئة.

وقد سُموا بذلك لتأخيرهم الأعمال عن مسمى الإيمان[٣].

فمذهبهم أن الإيمان الاعتقاد بالقلب[٤] فحسب وإن تأخر الإقرار باللسان والعمل بالجوارح، أو فقد رأساً.

ولإعطائهم الرجاء فهم يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة[٥].

---

(١) القول السديد ص١٢١.

(٢) لسان العرب ٨٣/١، ٨٤.

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص١٩٥.

(٤) هذا هو مذهب الجهمية حيث يرون أن الإيمان هو المعرفة بالقلب، ومن المرجئة من يرى أن الإيمان هو الإقرار باللسان (فقط) وهم الكرامية، ومنهم من يرى أنه الإقرار باللسان والتصديق بالقلب، وهم مرجئة الفقهاء، وهؤلاء جميعاً لا يرون دخول الأعمال في مسمى الإيمان، انظر كتاب الإيمان لابن تيمية ص ١٨٤ فما بعدها، وشرح العقيدة الطحاوية ٤٥٩/٢، ٤٦٠.

(٥) انظر البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي ص١٧، الملل والنحل للشهرستاني ١٣٩/١.

وقد أجمع السلف على ذم الإرجاء وأهله [1].

والذي يهمنا هنا من مذهب المرجئة هو القول بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب! وهو مذهب الغلاة منهم.

فهؤلاء يقطعون بأنه لا يدخل النار إلا الكفار [2].

ونقل عنهم قولهم: إن من أقر بالشهادتين وأتى بكل المعاصي لم يدخل النار أصلاً [3]!.

أي أن النار لا يدخلها أحد من أهل التوحيد، وهذا خلاف النصوص الشرعية وإجماع السلف الصالح [4].

فالإيمان عند غلاة المرجئة لا يستوجب العمل، وهو عندهم مانع من إنفاذ الوعيد، بينما تعلقوا بنصوص الوعد.

هذا ما يتعلق ببيان معتقد الإرجاء على سبيل الإجمال.

ونلحظ أن هناك صلة واضحة للأمن من مكر الله تعالى بالإرجاء الموجود عند غلاة المرجئة.

فحقيقة كل واحد منهما التهوين من شأن المعاصي، ومن القيام بالأعمال الواجبة والتكذيب بوعيد الله تعالى.

فالإرجاء عند غلاة المرجئة يندرج تحت مفهوم الأمن من مكر الله تعالى، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر الشريعة للآجري ٢/ ٦٧٦ فما بعدها، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٧/ ٥٠٧ فما بعدها.

(٢) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص١٧.

(٣) التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة ٢/ ٧٧٠، تلبيس إبليس لابن الجوزي ٢/ ٤٩٤، وانظر الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٤/ ٢٠٤ فما بعدها.

(٤) انظر في مناقشة غلاة المرجئة كتاب التوحيد لابن خزيمة ٢/ ٧٧٠ فما بعدها، آراء المرجئة في مصنفات ابن تيمية للدكتور عبد الله السند ص٢٦٣ فما بعدها.

الفصل الثاني :القنوط من رحمة الله تعالى :

المبحث الأول: مفهوم القنوط من رحمة الله تعالى:

المطلب الأول: معنى القنوط من رحمة الله تعالى:

تعريف القنوط لغة واصطلاحاً:

القنوط لغة: اليأس [١].

يقال: قَنَطَ يَقنِط قنوطاً، وقنِطَ يَقنَط [٢].

قال ابن فارس رحمه الله (ت ٣٩٥هـ): (القاف والنون والطاء كلمة صحيحة تدل على اليأس من الشيء)[٣].

والقنوط اصطلاحاً: اليأس من الخير [٤].

وقيل: اليأس من رحمة الله تعالى [٥].

ويلاحظ من خلال التعريفات السابقة أن القنوط بمعنى اليأس، وكذلك فإن بعض أهل اللغة قد عرفوا اليأس بالقنوط [٦].

وعلى هذا فمعناهما واحد.

وهناك من يرى أن القنوط هو أشد اليأس [٧] (لأن الإنسان يقنط ويبعد الرجاء والأمل، بحيث يستبعد حصول مطلوبه، أو كشف مكروبه)[٨].

قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله موضحاً ذلك: اليأس أن ييأس الشخص من وقوع شيء من أنواع الرحمة له مع إسلامه، ثم هذا اليأس قد ينضم إليه حالة هي أشد منه، وهي التصميم على عدم وقوع الرحمة له وهو القنوط[٩].

وقال صاحب تيسير العزيز الحميد: (فعلى هذا يكون الفرق بين القنوط واليأس كالفرق

---

(١) الصحاح ٣/ ١١٥٥، لسان العرب ٧/ ٣٨٦، وانظر القاموس ٣/ ٧٠٠.

(٢) الصحاح ٣/ ١١٥٥، معجم مقاييس اللغة ٥/ ٣٢، المفردات ص٤١٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٣٢.

(٤) المفردات ص٤١٣.

(٥) المصباح المنير ٢/ ٧٧٠، التوقيف على مهمات التعاريف ص٥٩١.

(٦) انظر مثلاً الصحاح ٣/ ٩٩٢، لسان العرب ٦/ ٢٥٩، القاموس ٤/ ٦٦٨.

(٧) انظر الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص٢٤٠، النهاية لابن الأثير ٤/ ١١٣.

(٨) القول المفيد على كتاب التوحيد ٢/ ٢٠٣.

(٩) الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/ ١٩٢ بتصرف.

بين الاستغاثة والدعاء [1]، فيكون القنوط من اليأس).

ثم قال بعد ذلك: (وظاهر القرآن أن اليأس أشد لأنه حكم لأهله بالكفر، ولأهل القنوط بالضلال)[2].

وعلى أي حال فإن بين القنوط واليأس تشابهاً في المعنى، حيث إن كلاً منهما يعني قطع الرجاء في حصول المطلوب.

ثبوت صفة الرحمة لله عز وجل:

الرحمة صفة من صفات الله عز وجل ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [3] فالرحمن والرحيم اسمان لله عز وجل يتضمنان الرحمة.

وقال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [4].

وقال عز وجل: ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [5].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة الكثيرة جداً التي تثبت لله تعالى هذه الصفة العظيمة.

وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي)[6].

وغير ذلك من الأحاديث التي سيرد شيء منها قريباً إن شاء الله.

والله تعالى ذو رحمة واسعة، فقد وسعت رحمته سبحانه كل شيء.

قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [7].

وقال: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [8].

---

(1) يعني أن الاستغاثة جزء من الدعاء.

(2) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص٤٥١، وسيأتي الكلام عن حكم القنوط في المبحث الثاني.

(3) سورة الفاتحة، الآيتان (٢، ٣).

(4) سورة الأنعام، الآية (١٣٣).

(5) سورة يوسف، الآية (٦٤).

(6) صحيح البخاري ٧٣/٤ كتاب بدء الخلق، وصحيح مسلم ٢١٠٨/٤ كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله (٢٧٥١).

(7) سورة الأعراف، الآية (١٥٦).

(8) سورة الأنعام، الآية (١٤٧).

وجاء في الصحيحين أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)[1].

ورحمة الله تعالى عامة تشمل جميع المخلوقات حتى الكفار، لكن رحمته للكافر رحمة جسدية دنيوية فحسب.

أما المؤمنون فرحمتهم أخص من هذه وأعظم لأنها رحمة إيمانية دينية دنيوية [2].

يقول ابن القيم رحمه الله: (فانظر إلى ما في الوجود من آثار رحمة الله الخاصة والعامة، فبرحمته أرسل إلينا رسوله ﷺ، وأنزل علينا كتابه، وعلّمنا من الجهالة، وهدانا من الضلالة، وبرحمته علّمنا ما لم نكن نعلم، وأرشدنا لمصالح ديننا ودنيانا، وبرحمته بسط الأرض وجعلها مهاداً وفراشاً وقراراً، وبرحمته أنشأ السحاب وأمطر المطر، وأطلع الفواكه والأقوات، وبرحمته وضع الرحمة بين عباده ليتراحموا بها، وكذلك بين سائر أنواع الحيوان، وبرحمته مكّن لعباده أسباب مصالحهم، وبرحمته خُلقت الجنة، وعمرت بأهلها، وطاب عيشهم فيها)[3] إلى آخر كلامه.

وإذا كانت رحمة الله تعالى قد وسعت جميع الخلق بالمفهوم العام للرحمة، فإن رحمة الله تعالى بالمفهوم الخاص لها لا يستحقها إلا المؤمنون، وأقربهم لها المحسنون منهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ "[4].

فالحصول على الرحمة إذن له أسباب تستجلب به هذه الرحمة.

ومن ذلك - عدا ما سبق - التقوى، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [5].

والاستغفار، قال تعالى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [6] وغير ذلك.

وهكذا فالأعمال الصالحة سبيل إلى الرحمة قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ

---

(١) صحيح البخاري ٧/٧٥، كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة مائة جزء، وصحيح مسلم ٤/٢١٠٨ كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله (٢٧٥٢).

(٢) شرح (العقيدة الواسطية لابن تيمية) للشيخ محمد بن صالح العثيمين ١/٢٤٩.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة ٢/١٢٢، ١٢٣ باختصار.

(٤) سورة الأعراف، الآية (٥٦).

(٥) سورة الحجرات، الآية (١٠).

(٦) سورة النمل، الآية (٤٦).

﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

ويؤخذ مما تقدم في هذا المطلب أن معنى القنوط من رحمة الله تعالى: اليأس من رحمة الله، وقطع الرجاء بحصولها.

والقنوط من رحمة الله تعالى يشمل رحمته الدنيوية والدينية.

ومثال الأول قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[2].

قال ابن كثير رحمه الله: (هذا إنكار على الإنسان من حيث هو إلا من عصمه الله ووفقه، فإن الإنسان إذا أصابته نعمة بطر.. وإذا أصابته شدة قنط وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير بالكلية)[3].

وقال تعالى في سياق قصة النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام حينما بشرته الملائكة بإسحاق عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[4].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله مفسراً هذه الآيات: (قال لهم إبراهيم تعجباً من هذه البشارة (أبشرتموني) بالولد (على أن مسني الكبر) وصار نوع إياس منه (فبم تبشرون) أي على أي وجه تبشرون وقد عدمت الأسباب؟

(قالوا بشرناك بالحق) الذي لا شك فيه، لأن الله على كل شيء قدير.

(فلا تكن من القانطين) الذين يستبعدون وجود الخير، فأجابهم إبراهيم بقوله: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ الذين لا علم لهم بربهم، وكمال اقتداره، وأما من أنعم الله عليه بالهداية والعلم العظيم فلا سبيل إلى القنوط إليه، لأنه يعرف من كثرة الأسباب والوسائل لرحمة الله شيئاً كثيراً)[5].

ومثال القنوط من رحمة الله تعالى الدينية قول الله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ

---

(1) سورة الأعراف، الآية (١٥٦).

(2) سورة الروم، الآية (٣٦).

(3) تفسير ابن كثير ٣/٤٣٥.

(4) سورة الحجر، الآيات (٥٤، ٥٥، ٥٦).

(5) تفسير ابن سعدي ص٣٨٦ بتصرف.

رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾"[1].

قال ابن كثير رحمه الله : (هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله تعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت)[2].

فمن أراد من أصحاب المعاصي الرحمة والمغفرة من الله فعليه بالتوبة وإصلاح العمل، كما قال تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [3].

إذن فلا مجال للقنوط واليأس من رحمة الله تعالى ومغفرته حتى للمسرفين على أنفسهم بالذنوب، إنما عليهم أن يتوبوا إلى الله تعالى وينيبوا.

المطلب الثاني: الفرق بين القنوط من رحمة الله تعالى والخوف:

قد يتوقع أحد أن القنوط من رحمة الله تعالى هو بمعنى الخوف المشروع، ولهذا لابد من بيان الفرق بينهما.

ومن أجل ذلك سيتم أولاً التعريف بالخوف، وبيان منزلته في الدين.

فالخوف في اللغة العربية: الفزع [4].

يقال: خافَ الرجلُ يخاف خَوفاً وخِيفةً ومَخَافةً فهو خائف [5].

ومعنى الخوف اصطلاحاً: توقع حلول مكروه أو فوات محبوب [6].

وفي (المفردات): (توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة.. ويضاد الخوف: الأمن)[7].

وقيل في تعريف الخوف أيضاً: غمّ يلحق الإنسان مما يتوقعه من السوء[8].

وذكر الراغب أن الخوف يستعمل في الأمور الدنيوية والأخروية[9].

---

(١) سورة الزمر، الآيتان (٥٣، ٥٤).

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٥٩، وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦ / ١٨ فما بعدها.

(٣) سورة الأنعام، الآية (٥٤).

(٤) انظر القاموس ٢ / ١٢٨.

(٥) الصحاح ٤ / ١٣٥٨.

(٦) التعريفات ص١٠٧، وانظر التوقيف على مهمات التعاريف ص٣٢٨.

(٧) المفردات ص١٦١.

(٨) التوقيف ص٣٢٨، وانظر مدارج السالكين ١ / ٥١٢، مختصر منهاج القاصدين ص٣٢٢.

(٩) المفردات ص١٦١، وانظر التوقيف ص٣٢٨.

فمعنى الخوف إذن الفزع بسبب توقع حلول مكروه أو فوات محبوب في أمور الدنيا أو الآخرة.

والمراد هنا الخوف الشرعي، وهو خوف العبد من وعيد الله تعالى الذي توعد به العصاة [1] والمخالفين في الدنيا والآخرة، الذي قال الله فيه ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [2] وقال: ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [3] وغير ذلك.

ولا ريب أن للخوف منزلة عالية في الدين، فهو أحد أركان العبودية الثلاثة (المحبة، والخوف، والرجاء) كما سبق بيانه في الفصل الماضي.

قال ابن القيم رحمه الله: الخوف من أجلّ منازل العبد، وأنفعها للقلب، وهو فرض على كل أحد [4].

قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ "[5].

وقال ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ "[6].

وقال تعالى ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ "[7].

وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله..) ومنهم: (رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين)[8].

وأخوف الناس أعلمهم بربه تعالى، ولذلك قال النبي ﷺ: (فوالله لأنا أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية)[9].

---

(1) انظر تيسير العزيز الحميد ص٤٢٧، ٤٢٨.

(2) سورة إبراهيم، الآية (١٤).

(3) سورة الإنسان، الآية (٧).

(4) انظر مدارج السالكين ٥١١/١، ٥١٢.

(5) سورة آل عمران، الآية (١٧٥).

(6) سورة البقرة، الآية (٤٠).

(7) سورة المائدة، الآية (٤٤).

(8) صحيح البخاري ١١٦/٢ كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، وصحيح مسلم ٧١٥/٢ كتاب الزكاة (١٠٣١).

(9) قطعة من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ٩٦/٧ كتاب الأدب، باب من لمن يواجه الناس بالعتاب، ومسلم في صحيحه ١٨٢٩/٤ كتاب الفضائل (٢٣٥٦) كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

وقال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ "[1].

والخشية أخص من الخوف، فهي للعلماء بالله، فهي خوف مقرون بمعرفة [2].

والخوف الشرعي هو الذي يحمل صاحبه على أداء الطاعات، ويحول بينه وبين المحرمات.

قال الراغب رحمه الله: (الخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب، كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنما يراد به الكف عن المعاصي، واختيار الطاعات، ولذلك قيل: لا يُعدّ خائفاً من لم يكن للذنوب تاركاً)[3].

وكما قال ابن القيم رحمه الله: ليس الخوف مقصوداً لذاته، بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل، ولهذا يزول الخوف بزوال المخوُف، فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون [4].

وقال ابن رجب (ت ٧٩٥هـ) رحمه الله: (ولا ننكر أن خشية الله وهيبته وعظمته في الصدور وإجلاله مقصود أيضاً، ولكن القدر النافع من ذلك ما كان عوناً على التقرب إلى الله بفضل ما يحبه وترك ما يكرهه)[5].

فالخوف النافع ما كان باعثاً على العمل.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ "[6].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ "[7].

وقد جاء في مسند الإمام أحمد وبعض السنن عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [8] أهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر؟

---

(١) سورة فاطر، الآية (٢٨).

(٢) مدارج السالكين ٥١٢/١.

(٣) المفردات ص١٦٢.

(٤) مدارج السالكين ٥١٤/١.

(٥) التخويف من النار ص١٨.

(٦) سورة النازعات، الآيتان (٤٠،٤١).

(٧) سورة المؤمنون، الآيات (٥٧-٦١).

(٨) سورة المؤمنون، الآية (٦٠).

قال: (لا يا بنت الصِّديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدّق وهو يخاف أن لا يُقبل منه)[1].

وجاء في سنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من خاف أدلج، ومن أدْلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة)[2].

قال المنذري (ت٦٥٦هـ) رحمه الله: (أدْلج: إذا سار من أول الليل، ومعنى الحديث: أن من خاف ألزمه الخوف إلى السلوك إلى الآخرة، والمبادرة بالأعمال الصالحة خوفاً من القواطع والعوائق)[3].

(ومن تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف)[4].

فالخوف المحمود إذن هو الذي يبعث على العمل، ويردع صاحبه عن المحارم، فإن زاد عن ذلك فإنه قد يوصل إلى اليأس والقنوط من رحمة الله، وهو بهذا خوف مذموم.

قال ابن القيم رحمه الله: (الخوف المحمود الصادق، ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط)[5].

ونقل عن أحد السلف أنه قال: (صدقُ الخوف هو الورع عن الآثام ظاهراً وباطناً).

ثم قال: (وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول: الخوف المحمود: ما حجزك عن محارم الله)[6].

وذكر الإمام أحمد بن محمد المقدسي (ت٧٤٢هـ) من أقسام الخوف: الخوف المفْرط، ثم قال شارحاً له: (هو الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط، فهو مذموم، لأنه يمنع من العمل، وقد يخرج إلى المرض والوله والموت، وليس ذلك محموداً، وكل

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/٢٠٥، والترمذي في سننه ٥/٣٢٧ كتاب تفسير القرآن (٣١٧٥)، وابن ماجه في سننه ٢/١٤٠٤ كتاب الزهد (٤١٩٨)، والحاكم في المستدرك ٢/٣٩٣، ٣٩٤، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٤/٦٣٣ كتاب صفة القيامة (٢٤٥٠) وقال حديث حسن، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٣٠٨ كتاب الرقاق، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للحافظ عبد العظيم المنذري ٤/٢٦٢.

(٤) الجواب الكافي لابن القيم ص٢٥، وقد سرد المؤلف بعد ذلك عدة شواهد على ذلك (ص٢٥، ٢٦) وانظر للاستزادة من معرفة أحوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم في الخوف مختصر منهاج القاصدين ص٣٣٤ ـ ٣٣٦، والتخويف من النار ص١٩ فما بعدها، وغيرهما.

(٥) مدارج السالكين ١/٥١٤، وانظر شرح الطحاوي ٢/٤٥٦، وتيسير العزيز الحميد ص٤٢٨، القول المفيد ٢/١٦٦.

(٦) مدارج السالكين ١/٥١٤.

ما يراد لأمر فالمحمود منه ما يفضي إلى المراد المقصود منه، وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم)[1].

وقال ابن رجب رحمه الله (ت ٧٩٥هـ) مبيناً القدر المشروع من الخوف: (القدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات، كان ذلك فضلاً محموداً).

ثم قال بعد ذلك: (فإن تزايد على ذلك، بأن أورث مرضاً، أو موتاً، أو هماً لازماً بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عز وجل لم يكن محموداً.. لأن خوف العقاب ليس مقصوداً لذاته، إنما هو سوط يُساق به المتواني عن الطاعة إليها)[2].

ومن المعلوم أن الخوف مستلزم للرجاء. كما أن الرجاء مستلزم للخوف، كما تقدم. فكل خائف راج، والخوف بلا رجاء يأس وقنوط[3].

وبعد هذا البيان لمعنى الخوف ومنزلته الدينية، وحيث تقدم في المطلب السابق بيان معنى القنوط من رحمة الله تعالى، فلعله اتضح وجود فرق كبير بينهما.

ذلك أن القنوط من رحمة الله تعالى يقطع الرجاء بحصول رحمته، فيدفع صاحبه إلى عدم العمل، لأنه لا فائدة منه، فهو لا يرجو رحمة الله.

بينما الخوف من الله تعالى ومن وعيده يبعث صاحبه على العمل، ويردعه عن المحارم راجياً رحمة ربه تبارك وتعالى.

وهذا هو الخوف الشرعي المحمود.

أما إذا جاوز الخوف من الله حد الاعتدال المشروع فوصل إلى الإفراط، فهو خوف مذموم، ويكون بمعنى اليأس والقنوط من رحمة الله.

فالغلو في الخوف إذن ينتهي إلى اليأس والتيئيس والتقنيط من رحمة الله[4].

والحاصل أن الخوف عبادة مشروعة محمودة، بخلاف القنوط من رحمة الله تعالى، الذي سيأتي بيان حكمه بالتفصيل في المبحث القادم بإذن الله تعالى.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص٣٢٤.

(٢) التخويف من النار ص١٨.

(٣) مدارج السالكين ٢/٥١، وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٧/٢١.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية للشيخ عبد الرحمن البراك ص٢٢٣.

المبحث الثاني: حكم القنوط من رحمة الله تعالى، والأدلة على ذلك:

القنوط من رحمة الله تعالى محرم، بل هو من أعظم الذنوب، ويدل على ذلك ما يأتي:

١- أن اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى من سمات أهل الكفر والضلال.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ "[١].

وقد جاء الوصف هنا للقانطين بالضلال على أسلوب الحصر للتأكيد والتنفير.

(والضال: فاقد الهداية، الذي لا يدري ما يجب لله سبحانه، مع أنه سبحانه قريب الخير) [٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ "[٣].

والرَّوح بمعنى الرحمة والفرج[٤].

قال ابن جرير رحمه الله مفسراً قوله تعالى: (إنه لا ييأس من روح الله) يقول: لا يقنط من فرجه ورحمته، ويقطع رجاءه منه).

ثم روى بإسناده عن عدد من علماء السلف في تفسير قول الله تعالى: (من رَوح الله) فقال بعضهم: أي من رحمة الله، وقال بعضهم: أي من فرج الله [٥].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ "[٦].

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴾ "[٧].

ومعنى (يئسوا من الآخرة) أي من ثواب الآخرة ونعيمها [٨].

واليأس والقنوط من الخير من صفات الناس الذميمة، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴾ "[٩].

---

(١) سورة الحجر، الآية (٥٦).

(٢) القول المفيد لابن عثيمين ٢/ ٢٠٤.

(٣) سورة يوسف، الآية (٨٧).

(٤) المفردات في غريب القرآن ص٢٠٦، وانظر تفسير البغوي ٢/ ٤٤٦، القول المفيد ٢/ ٢٠٧.

(٥) انظر تفسير الطبري ١٣/ ٤٩.

(٦) سورة العنكبوت، الآية (٢٣).

(٧) سورة الممتحنة، الآية (١٣).

(٨) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٥٧.

(٩) سورة الروم، الآية (٣٦).

وقال: ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾ [1].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾ [2].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: (يخبر تعالى عن الإنسان وما فيه من الصفات الذميمة إلا من رحم الله من عباده المؤمنين أنه إذا أصابته شدة بعد نعمة حصل له يأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل، وكفر وجحود لماضي الحال، كأنه لم ير خيراً، ولم يرج بعد ذلك فرجاً)[3].

وقد نهى الله عباده نهياً صريحاً أن يقنطوا من رحمته مهما بلغت ذنوبهم لأنه سيغفرها لهم إذا تابوا وأنابوا في قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [4] الآيات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: هذه الآية في حق التائبين، وفيها نهي عن القنوط من رحمة الله تعالى، فلا يحل لأحد أن يقنط من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه، ولا أن يقنّط الناس من رحمة الله، قال بعض السلف: إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يُؤيّس الناس من رحمة الله، ولا يجرّيهم على معاصي الله [5].

٢- أن اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى من أكبر الكبائر.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر فقال: (الشرك بالله، واليأس من رَوح الله..)[6] الحديث.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من رَوح الله)[7].

ولما ذكر ابن القيم رحمه الله الأمثلة على الكبائر المتعلقة بالقلب عدّ منها: القنوط من رحمة الله، واليأس من رَوح ا لله، ثم قال عن هذه الكبائر: (هي أشد تحريماً من الزنا وشرب

---

(١) سورة فصلت، الآية (٤٩).

(٢) سورة هود، الآية (٩).

(٣) تفسير ابن كثير ٢/٤٣٩.

(٤) سورة الزمر، الآية (٥٣).

(٥) انظر مجموع الفتاوى ١٦/١٨-٢٠.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) تقدم تخريجه.

الخمر، وغيرهما من الكبائر الظاهرة)[1].

وعدّ الذهبي رحمه الله تعالى من الكبائر: الإياس من رَوح الله تعالى والقنوط[2].

كما أن ابن حجر الهيتمي رحمه الله عدّ من الكبائر الباطنة - التي هي أخطر الكبائر الظاهرة - اليأس من روح الله[3]، والقنوط من رحمة الله[4].

٣- ما يترتب على القنوط من رحمة الله تعالى من اللوازم الفاسدة والآثار الخطيرة، ومنها ما يأتي:

أ) أن القنوط من رحمة الله تعالى يستلزم التكذيب بوعد الله تعالى.

فالقانط قد قطع الرجاء بحصول رحمة الله تعالى وعفوه ومغفرته لمن يستحق ذلك، وأنكر رحمة الله تعالى الواسعة، والتي تشمل الأمور الدينية والدنيوية - كما تقدم بيانه -.

ب) أن القنوط من رحمة الله تعالى يتضمن إنكار التوبة، وأن الله يتوب على من تاب، وفي هذا تكذيب لخبر الله أنه يتوب على التائبين، كما قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ "[5] وغيرها من الآيات [6].

ج) أن مقتضى اليأس والقنوط ترك العمل الصالح، لأنه لا فائدة منه، فالقانط يائس من رحمة الله تعالى، ولا أمل له فيها، فلا يؤدي الواجبات، ولا ينتهي عن المحرمات - كما تقدمت الإشارة إليه -.

د) أن القنوط من رحمة الله تعالى يقتضي سوء الظن بالله تعالى[7]وذلك من وجهين:

أحدهما: أنه طعن في قدرته سبحانه، لأن من علم أن الله على كل شيء قدير لم يستبعد شيئاً على قدرة الله.

الثاني: أنه طعن في رحمته سبحانه، لأن من علم أن الله رحيم لا يستبعد أن يرحمه الله سبحانه [8].

قال ابن القيم رحمه الله: (أعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظن به، فإن المسيء به

---

(١) مدارج السالكين ١/١١٣.

(٢) الكبائر ص٩٦.

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/١٨٩.

(٤) المرجع السابق ١/١٩١.

(٥) سورة الفرقان، الآية (٧٠).

(٦) شرح الطحاوية للبراك ص٢٢٢، ٢٢٣.

(٧) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص٢٩٧.

(٨) القول المفيد لابن عثيمين ٢/٢٠٤.

الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس، فظن به ما يناقض أسماءه وصفاته)[1].

وقد تقدم في الفصل الأول قول الرسول ﷺ: (لا يموتنّ أحدكم إلا وهو يحسن الظنّ بالله عز وجل)[2].

وبعد عرض الأدلة على تحريم القنوط من رحمة الله تعالى، وبيان ما يترتب عليه من المفاسد فإلى أي حد يصل هذا التحريم؟[3].

لعل التحقيق في هذه المسألة هو كما يلي:

١. فإن صدر القنوط من رحمة الله تعالى من الكفار فلا ريب أنه كفر، لأنهم أصلاً كفار.

٢. وإن صدر القنوط من رحمة الله تعالى من مسلم فلا يخلو الأمر:

أ) إما أن يكون القنوط متمكناً في القلب، بأن يعتقد الشخص عدم حصول الرحمة له، وأنه لا توبة له، ومقتضى ذلك ترك الواجبات، وعدم الانتهاء من المحرمات، فهذا كفر ناقل عن الملة، لأن مضمونه التكذيب بنصوص الوعد بالرحمة وغيرها، وبالتوبة، وهي من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، فضلاً عن ترك الواجبات الظاهرة المتواترة، وفعل المحرمات الظاهرة المتواترة، لكن تكفير المعيَّن لا يتم إلا إذا تحققت شروطه وانتفت موانعه.

وعلى هذا يحمل قول الإمام الطحاوي رحمه الله: (والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام)[4].

ب) وإما أن يكون القنوط حالاً عارضاً للمسلم، وليس عن اعتقاد، بل إنه قد استعظم ذنبه، وخاف منه، وبلغ به الأمر أن ظن بجهله أنه لا يُغفر له، ولكنه قائم بما وجب عليه، فهذا لا شك في حرمته، لكنه لا يصل إلى حد الكفر، والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) الجواب الكافي ص٩٦.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ١/٥١٨، ٥١٩، مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٠/١٦، مدارج السالكين ١/٣٣٨، ٣٣٩، تفسير القاسمي ٥/٢٢٣، شرح الطحاوية للبراك ص٢٢٣.

(٤) العقيدة في الطحاوية ص٢١.

المبحث الثالث: أسباب القنوط من رحمة الله تعالى، وصلته بالوعيدية:

المطلب الأول: أسباب القنوط من رحمة ا لله تعالى:

ما يحصل من القنوط من رحمة الله تعالى عند الكفار فسببه الكفر بالله تعالى وبأسمائه وصفاته وباليوم الآخر.

وأما ما يحصل عند غيرهم فله عدة أسباب، يمكن بيانها[1] فيما يأتي:

١- الجهل بالله تعالى، وبسعة رحمته وجوده ومغفرته[2].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي مبيناً أحد أسباب القنوط من رحمة الله واليأس من روحه: (أن يقوى خوف العبد بما جنت يداه من الجرائم، ويضعف علمه بما لله من واسع الرحمة والمغفرة، ويظن بجهله أن الله لا يغفر له ولا يرحمه ولو تاب وأناب، وتضعف إرادته فييأس من الرحمة.

وهذا من المحاذير الضارة الناشئة من ضعف علم العبد بربه، وماله من الحقوق، ومن ضعف النفس وعجزها ومهانتها).

ثم قال: (فلو عرف هذا ربه ولم يخلد إلى الكسل لعلم أن أدنى سعي يوصله إلى ربه ورحمته وجوده وكرمه)[3].

٢- الإسراف في المعاصي والإصرار عليها.

وفي ذلك يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي مبيناً سبباً آخر من أسباب القنوط من رحمة الله: (أن يسرف العبد على نفسه ويتجرأ على المحارم، فيصرّ عليها، ويصمم على الإقامة على المعصية، ويقطع طمعه من رحمة الله، لأجل أنه مقيم على الأسباب التي تمنع الرحمة، فلا يزال كذلك حتى يصير له هذا وصفاً وخلقاً لازماً، وهذا غاية ما يريده الشيطان من العبد).

ثم قال: (ومتى وصل إلى هذا الحد لم يرج له خير إلا بتوبة نصوح، وإقلاع قوي)[4].

٣- الاعتقاد بأن الله تعالى لن يقبل توبته لكثرة ذنوبه، أو أنه لا يستطيع التوبة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (القنوط يكون بأن يعتقد أن الله لا يغفر له، إما لكونه إذا تاب لا يقبل الله توبته ويغفر ذنوبه.

---

(١) يلاحظ أنه قد يوجد تداخل بين بعض الأسباب.

(٢) فتح المجيد ص٢٩٧، وانظر مدارج السالكين ١/١١٣.

(٣) القول السديد ص١٢١، ١٢٢.

(٤) المرجع السابق ص١٢١.

وإما بأن يقول: نفسه لا تطاوعه على التوبة، بل هو مغلوب معها، والشيطان قد استحوذ عليه، فهو ييأس من توبة نفسه، وإن كان يعلم أنه إذا تاب غفر الله له، وهذا يعتري كثيراً من الناس.

والقنوط يحصل بهذا تارة وبهذا تارة).

ثم قال: (فالأول: كالراهب الذي أفتى قاتل تسعة وتسعين أن الله لا يغفر له، فقتله وكَمَّل به مائة، ثم دُل على عالم فأتاه فسأله، فأفتاه بأن الله يقبل توبته، والحديث في الصحيحين [1].

والثاني: كالذي يرى للتوبة شروطاً كثيرة، ويقال له: لها شروط كثيرة يتعذر عليه فعلها، فييأس من أن يتوب).

إلى أن قال: (والتوبة ممكنة من كل ذنب)[2].

٤- الغلو في الخوف.

تقدم في المبحث السابق بيان أن الخوف المفرط الذي جاوز حد الاعتدال المشروع يوصل إلى القنوط من رحمة الله تعالى.

وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن السعدي من الأخلاق الرذيلة التي يُخشى على العبد منها: (أن يستولي عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله ورَوحه)[3].

ويدخل ضمن هذا السبب الأخير: الغلو عند الوعيدية، كما سيأتي بيانه.

فلابد من العلم بالله سبحانه وبسعة رحمته، ولزوم التوبة والاستغفار، وترك الغلو في العبادة، والحذر من مكائد الشيطان حتى يسلم العبد من غائلة القنوط من رحمة ربه جل وعلا.

المطلب الثاني: صلة القنوط من رحمة الله تعالى بالوعيدية:

الوعيدية: اصطلاح يطلق على من يغلِّب جانب الوعيد، وهم الخوارج والمعتزلة [4]، حيث تعقلوا بنصوص الوعيد، وتأولوا نصوص الوعد[5].

---

(١) انظر صحيح البخاري ٤/ ١٤٩ كتاب الأنبياء، باب (٥٤)، وصحيح مسلم ٤/ ٢١١٨ كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٢٧٦٦).

(٢) مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٠.

(٣) القول السديد ص١٢١.

(٤) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦/ ٢٧٠.

(٥) موانع إنفاذ الوعيد للسعدي ص٩.

والوعيد: هو الإخبار بإيقاع الشر[١].

وهو يشمل الوعيد بإيقاع العذاب والعقاب في الدنيا والآخرة[٢].

وللخوارج مذهب مشهور في مرتكب الكبيرة حيث يرون تكفير مرتكب الكبيرة في الدنيا [٣]، وأنه خالد مخلد في النار يوم القيامة [٤].

كما اشتهر عن المعتزلة أن مرتكب الكبيرة فاسق، ليست منزلته منزلة الكافر، ولا منزلة المؤمن، وإنما هو في منزلة بين المنزلتين[٥]، وأنه مخلد في النار يوم القيامة[٦].

وكما قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله (ت١٣٧٧هـ): إن المعتزلة وافقوا الخوارج مآلاً وخالفوهم مقالاً [٧].

وما ذهب إليه الخوارج والمعتزلة في مسألة الفاسق المِلّي (مرتكب الكبيرة) يخالف مذهب أهل السنة والجماعة حيث إنهم لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كالخوارج، ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار، كما تقوله المعتزلة، بل هو مؤمن ناقص الإيمان[٨].

ويذهب أهل السنة إلى أنه إذا مات على غير توبة فأمره إلى الله عز وجل: إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بالنار ثم أخرجه إلى الجنة[٩].

وليس هذا موضع تفصيل هذه المسألة أو الاستدلال لها.

والمقصود أن الخوارج والمعتزلة يرون القطع بتخليد مرتكب الكبيرة في النار في الآخرة، فأنكروا شفاعة النبي × وغيره في أهل الكبائر، بناءً على أن أهل الكبائر عندهم لا يغفر الله لهم، ولا يخرجهم من النار بعد أن يدخلوها، لا بشفاعة ولا غيرها[١٠].

---

(١) النهاية لابن الأثير ٥/ ٢٠٦، المصباح المنير ٢/ ٦٦٤.

(٢) انظر المفردات للراغب ص٥٢٦.

(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري ١/ ١٦٧، الفرق بين الفرق للبغدادي ص٥٥، ٥٦.

(٤) مقالات الإسلاميين ١/ ١٦٨، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١١٤.

(٥) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد ص٦٩٧، الفرق بين الفرق للبغدادي ص٩٤.

(٦) شرح الأصول الخمسة ص٦٦٦، الفرق بين الفرق ص٩٤، ٩٥.

(٧) معارج القبول ٢/ ٣٤٤.

(٨) انظر العقيدة الواسطية لابن تيمية ص١٦، ١٧.

(٩) انظر عقيدة السلف وأصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني ص٢٧٦.

(١٠) مجموع فتاوى ابن تيمية ١/ ٣١٨.

فعندهم (أن من دخل النار فليس بخارج منها)[1].

وبعد هذه الخلاصة عند معتقد الوعيدية في مرتكب الكبيرة يظهر لنا الصلة الجلية للقنوط من رحمة الله تعالى بالوعيدية.

فإن مقتضى مذهبهم تقنيط العصاة من رحمة الله، حيث يرون أن مرتكب الكبيرة إذا مات من دون توبة فهو مخلد في النار كسائر الكفار [2].

فهؤلاء الوعيدية غلّبوا جانب الوعيد إذن، وغلوا في مقام الخوف، وقصّروا في مقام الرجاء فأصبح عندهم شيء من القنوط من رحمة الله تعالى، ولم ينتبهوا إلى أن لحوق الوعيد لأحد لابد فيه من تحقق الشروط وانتفاء الموانع، مع أن موانع إنفاذ الوعيد من فضل الله تعالى كثيرة مشهورة.

* * *

---

(١) الشريعة للآجري ١١٩٨/٣، وانظر مقالات الإسلاميين ١٦٨/١، ٣٣٤.

(٢) شرح الطحاوية للبراك ص٢٢٣، وانظر التعليقات الجلية على العقيدة الطحاوية للدكتور أحمد الغامدي ص٦٦.

الفصل الثالث: تقرير مذهب أهل السنة في الأمن والقنوط:

المبحث الأول: مذهب أهل السنة في هذه المسألة إجمالاً:

تقدم بيان مذهب أهل السنة والجماعة في جزئيات موضوع: (الأمن من مكر الله تعالى) في الفصل الأول، وفي جزئيات موضوع: (القنوط من رحمة الله تعالى) في الفصل الثاني.

وسيتم في هذا المبحث بإذن الله تعالى إيضاح مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة: (الأمن من مكر الله تعالى، والقنوط من رحمته) على سبيل الإجمال.

فكل من الأمن من مكر الله تعالى والقنوط من رحمته نهى عنه الإسلام نهياً بليغاً كما سبق، حتى أنه قد يصل أحياناً إلى الكفر الناقل عن الملة.

والبديل الشرعي عنهما هما: الخوف والرجاء.

وقد أثنى الله سبحانه على أوليائه الذين يرجون ربهم ويخافونه بقوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [1] وبقوله سبحانه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ "[2]

وقوله ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ "[3] ونحوها من الآيات.

فالرجاء والخوف كما قال الحسن البصري رحمه الله (ت ١١٠هـ): هما مطيّتا المؤمن [4].

والخوف والرجاء متلازمان، كما تقدم، لأن الخوف بلا رجاء يأس وقنوط، والرجاء بلا خوف أمن.

وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ماقَنِط من جنتِه أحد)[5].

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله (ت ٨٥٢هـ) في شرحه لهذا الحديث: (ومطابقة

---

(١) سورة السجدة، الآية (١٦).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٥٧).

(٣) سورة الأنبياء، الآية (٩٠).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد ص٢٦٥، وإسناده حسن، كما أخرجه أيضاً أبو نعيم في حلية الأولياء ١٥٦/٢.

(٥) صحيح البخاري ١٨٣/٧ كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف، وصحيح مسلم ٢١٠٩/٤ كتاب التوبة (٢٧٥٥) واللفظ لمسلم، وقد رواه البخاري مطولاً.

الحديث للترجمة (باب الرجاء مع الخوف) أنه اشتمل على الوعد والوعيد المقتضيين للرجاء والخوف، فمن علم أن من صفات الله تعالى الرحمة لمن أراد أن يرحمه، والانتقام ممن أراد أن ينتقم منه، لا يأمن انتقامه من يرجو رحمته، ولا ييأس من رحمته من يخاف انتقامه).

ثم قال: (وذلك باعث على مجانبة السيئة ولو كانت صغيرة، وملازمة الطاعة ولو كانت قليلة)[1].

وقد جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: (لا يرجو عبد إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه)[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله شارحاً هذا الأثر: (هذا الكلام يؤثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو من أحسن الكلام وأبلغه وأتمّه، فإن الرجاء يكون للخير، والخوف يكون من الشر، والعبد إنما يصيبه الشر بذنوبه)[3] الخ.

وقال ابن القيم رحمه الله: (المؤمنون في هذه الدار بين الرجاء والخوف، وعلى قدر رجائهم وخوفهم يكون فرحهم يوم القيامة بحصول مَرجوّهم، واندفاع مَخُوفهم)[4].

فلا مكان للأمن والقنوط في حياة المؤمن، ولابد في عبادته من الخوف والرجاء، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

أما الاقتصار على الرجاء وحده فهو عقيدة غلاة المرجئة، الذين غلوا في مقام الرجاء، وهذا يؤدي إلى الأمن من مكر الله تعالى، كما تقدم في الفصل الأول.

وأما الاقتصار على الخوف وحده فهو عقيدة الوعيدية من الخوارج والمعتزلة، حيث غلو في مقام الخوف، وهذا يؤدي إلى القنوط من رحمة الله تعالى، كما تقدم في الفصل الثاني.

فلابد من الخوف حتى لا يكون الإنسان آمناً من مكر الله تعالى، ولابد أيضاً من الرجاء حتى لا يكون الإنسان قانطاً من رحمة الله.

ولقد قال الإمام أحمد بن محمد المقدسي (٧٤٢هـ) رحمه الله: (الخوف ليس ضد الرجاء، بل رفيق له)[5].

---

(١) فتح الباري ٣٠٢/١١.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٧٦/١، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٣٨٢/١، ٣٨٣، وقال محققه: إسناده حسن.

(٣) مجموع الفتاوى ٨ /١٦١.

(٤) مدارج السالكين ٥١/٢.

(٥) مختصر منهاج القاصدين ص٣١٨.

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: (لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف ينكف عن المناهي، وبالرجاء يكثر من الطاعات)[1].

وهنا مسألة تكلم فيها العلماء وهي: هل الأفضل للإنسان أن يغلِّب جانب الخوف أو يغلِّب جانب الرجاء؟.

قال الإمام ابن رجب رحمه الله: (فأما الخوف والرجاء فأكثر السلف على أنهما يستويان، ولا يُرجَّح أحدهما على الآخر)[2].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله بعد أن شبّه القلب في سيره إلى الله عز وجل بالطائر: (فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه [3]، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قُطع الرأس مات الطائر، ومتى فُقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر).

ثم قال: (ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف)[4].

وفي المسألة أقوال أخرى[5].

* * *

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٨.

(٢) التخويف من النار ص ١٥.

(٣) يشير ابن القيم هنا إلى أركان العبودية الثلاثة: (المحبة والخوف والرجاء) التي أشرت إليها سابقاً.

(٤) مدارج السالكين ١/ ٥١٧.

(٥) انظر مختصر منهاج القاصدين ص ٣٢٥ ـ ٣٢٧، فتح الباري ١١/ ٣٠١، الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/ ١٩٢، القول المفيد ٢/ ١٦٤، ١٦٥.

المبحث الثاني: نماذج من أقوال أهل السنة عن الأمن والقنوط:

سأورد في هذه المبحث بإذن الله تعالى نماذج مما تيسر الوقوف عليه من الأقوال والآثار العلمية لأئمة أهل السنة والجماعة وعلمائهم - من المتقدمين والمتأخرين - رحمهم الله جميعاً المتعلقة بالأمن من مكر الله تعالى والقنوط من رحمته، والتي هي بمثابة الشواهد لمذهب أهل السنة في هذه المسألة، مع العلم أنه قد تقدم أقوال أخرى لهم ضمن ثنايا البحث.

وفيما يلي عرض لهذه النماذج:

١- أخرج الإمام مسلم رحمه الله (ت٢٦١هـ) بإسناده إلى معمر بن راشد أنه قال: قال لي الزهري (ت ١٢٤هـ): ألا أحدِّثك بحديثين عجيبين؟ قال الزهري: أخبرني حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (أسرف رجل على نفسه، فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال: إذا أنا متُّ فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم اذروني في الريح في البحر، فوالله لئن قدر عليّ ربي ليعذبني عذاباً ما عذَّب به أحداً، قال: ففعلوا ذلك به، فقال للأرض: أدِّي ما أخذت، فإذا هو قائم، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: خشيتك يا رب، أو قال: مخافتك، فغفر له بذلك)[١].

قال الزهري: وحدثني حميد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض، حتى ماتت هزلاً)[٢].

قال الزهري: (ذلك لئلا يتكل رجل، ولا ييأس رجل)[٣].

قال الإمام النووي رحمه الله (ت٦٧٦هـ) شارحاً قول الإمام الزهري رحمه الله تعالى: (معناه: أن الإمام ابن شهاب لما ذكر الحديث الأول خاف أن سامعه يتكل على ما فيه من سعة الرحمة وعظم الرجاء، فضم إليه حديث الهرة، الذي فيه من التخويف ضد ذلك، ليجتمع

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٥٢ كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١١٠ كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه (٢٧٥٦) واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٠٠ كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١١٠ كتاب التوبة، واللفظ لمسلم.

(٣) صحيح مسلم ٤/ ٢١١٠.

الخوف والرجاء)[١].

٢- قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (ت٢٤١هـ): (ينبغي للمؤمن أن يكون خوفه ورجاؤه واحداً، فأيهما غلب هلك صاحبه)[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معللاً ذلك: (لأن من غلب خوفه وقع في نوع من اليأس، ومن غلب رجاؤه وقع في نوع من الأمن من مكر الله)[٣].

٣-عقد الإمام البخاري رحمه الله (ت٢٥٦هـ) في صحيحه [٤] في كتاب الرقاق باباً بعنوان: (باب الرجاء مع الخوف) ولم يذكر تحته إلا حديثاً واحداً، رواه أبو هريرة رضي الله عنه، وفي آخره: (فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار)[٥].

قال الشارح الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله (ت٨٥٢هـ): (قوله (باب الرجاء مع الخوف) أي استحباب ذلك، فلا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف، ولا في الخوف عن الرجاء، لئلا يفضي في الأول إلى المكر، وفي الثاني إلى القنوط، وكل منهما مذموم)[٦].

٤-وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله (ت٣٢١هـ) في (العقيدة الطحاوية): (والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة)[٧].

قال الشارح الإمام ابن أبي العز رحمه الله (ت٧٩٢هـ): (يجب أن يكون العبد خائفاً راجياً).

وقال عن ضرورة التلازم بين الخوف والرجاء: (الرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمناً، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً)[٨].

٥-قال الإمام النووي رحمه الله (ت٦٧٦هـ): (معظم آيات القرآن العزيز يجتمع فيها

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ١٧/٧٢، ٧٣.

(٢) مسائل الإمام أحمد بن حنبل. رواية إسحاق بن إبراهيم النيسابوري ص١٧٨، الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/٣٠.

(٣) الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ص٨٥.

(٤) ٧/١٨٢.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) فتح الباري ١١/٣٠١.

(٧) العقيدة الطحاوية ص٢١.

(٨) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٤٥٦، ٤٥٧.

الخوف والرجاء، لئلا يقنط أحد ولا يتّكل)[1].

٦-قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت ٧٢٨هـ): (الخشية أبداً متضمنة للرجاء، ولولا ذلك لكانت قنوطاً، كما أن الرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمناً)[2].

كما قال أيضاً مرجحاً تساوي الخوف والرجاء: (من غلب عليه حال الخوف أوقعه في نوع من اليأس والقنوط.. ومن غلب عليه حال الرجاء بلا خوف أوقعه في نوع من الأمن لمكر الله)[3].

٧-عقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (١٢٠٦هـ) في كتاب (التوحيد) باباً بعنوان (باب قول الله تعالى ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ "[4] وقوله ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ "[5] ثم أورد فيه حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ثم حديث ابن مسعود رضي الله عنه المتعلقين بهذا الموضوع [6] . وقد تقدم ذكرهما.

٨-قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله (١٣٧٦هـ): (المؤمن الموحد في كل أحواله ملازم للخوف والرجاء، وهذا هو الواجب، وهو النافع، وبه تحصل السعادة، ويخشى على العبد من خلقين رذيلين:

أحدهما: أن يستولي عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله وروحه.

الثاني: أن يتجارى به الرجاء حتى يأمن مكر ا لله وعقوبته، فمتى بلغت به الحال إلى هذا فقد ضيّع واجب الخوف والرجاء اللذين هما من أكبر أصول التوحيد وواجبات الإيمان)[7].

٩-وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله (ت١٤٢٠هـ): (الواجب على المسلمين ألا يقنطوا من رحمة الله، ولا يأمنوا من مكره وعقوبته، بل يجب على كل مسلم أن يسير إلى الله سبحانه في هذه الدنيا ـ الدار الفانية ـ بين الخوف والرجاء)[8].

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ٧٣/١٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٢١/٧.

(٣) المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤٧/١.

(٤) سورة الأعراف، الآية (٩٩).

(٥) سورة الحجر، الآية (٥٦).

(٦) انظر كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ص٩٥.

(٧) القول السديد ص١٢١.

(٨) مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ٣١٩/١.

١٠-وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله (ت١٤٢١هـ) محذراً من الأمن والقنوط: (السائر إلى الله يعتريه شيئان يعوقانه عن ربه، وهما: الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله)[١].

وذكر أن الواجب (أن يجمع الإنسان بين الخوف، فلا يأمن مكر الله، وبين الرجاء، فلا يقنط من رحمته، فالأمن من مكر الله ثَلم في جانب الخوف، والقنوط من رحمته ثَلم في جانب الرجاء)[٢].

إلى غير ذلك من أقوال أئمة أهل السنة والجماعة وعلمائهم رحمهم الله، وآثارهم العلمية في هذه المسألة.

* * *

---

(١) القول المفيد ٢٠٨/٢.

(٢) المرجع السابق ٢٠٥/٢.

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد:

فيمكن إبراز أهم ما يتضمنه هذا البحث فيما يأتي:

- معنى الأمـن مـن مكـر الله تعـالى: عـدم توقـع معاقبـة الله تعـالى علـى الـذنوب، وزوال الخوف، مما يؤدي إلى ارتكاب المعاصي والاستمرار عليها.
- أن المكـر مـن صفـات الله تعـالى الفعليـة، ولا يوصـف الله تعـالى بـه علـى الإطـلاق، وهـو بمعنى معاقبة الله تعالى للمذنب على ذنبه من حيث لا يشعر.
- معنى القنوط من رحمة الله تعالى: اليأس من رحمته تعالى، وقطع الرجاء بحصولها، مما يؤدي إلى ترك العمل الصالح.
- أن الرحمة صفة ثابتة لله عز وجل، وأن رحمته سبحانه وسعت كل شيء.
- أن الإرجاء عند غلاة المرجئة يندرج تحت مفهوم الأمن من مكر الله تعالى.
- أن مقتضى مذهب الخوارج والمعتزلة تقنيط العصاة من رحمة الله تعالى.
- أن كلاً من الأمن من مكر ا لله تعالى، والقنوط من رحمتـه سـبحانه نهى عنـه الإسـلام نهياً بليغاً، وأنه يترتب علـى كـل واحـد منهمـا لـوازم فاسـدة وآثـار عقديـة خطيـرة، وأن حكمهما قد يصل إلى حد الكفر الناقل عن الملة.
- وأن البديل الشرعي عنهما هما: الخوف والرجاء (مطيّتا المؤمن)، وأنهما متلازمان.
- لابد من الخوف حتى لا يكون الإنسان آمناً من مكر الله تعالى.
- ولابد أيضاً من الرجاء حتى لا يكون الإنسان قانطاً من رحمة الله تعالى.
- أكثر السلف يرجحون تساوي الخوف والرجاء:

لأن من غلب عليه حال الخوف أوقعه في نوع من اليأس والقنوط.

ومن غلب عليه حال الرجاء أوقعه في نوع من الأمن لمكر الله تعالى.

وأخيراً فهذا جهد المقل، أسأل الله أن ينفع به، وأن يغفر لي خطئي وزللي إنـه سـميع مجيب، وصلى الله على نبينا محمد.

* * *

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الآداب الشرعية والمنح المرعية. محمد بن مفلح المقدسي. مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.

٣- آراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية. د.عبدالله بن محمد السند. دار التوحيد للنشر بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

٤- الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

٥- الأسماء والصفات. الإمام أحمد بن الحسين البيهقي. دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ تحقيق عماد الدين حيدر.

٦- اشتقاق أسماء الله. عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي. مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٧- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان. عباس بن منصور السكسكي. دار التراث العربي بالقاهرة. تحقيق خليل أحمد الحاج.

٨- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار. أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي. المكتبة العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ تحقيق د.محمد جميل غازي.

٩- التدمرية. شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن تيمية. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ تحقيق محمد بن عودة السعوي.

١٠- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف. الحافظ عبد العظيم بن عبدالقوي المنذري. دار الإيمان في دمشق وبيروت، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ تحقيق مصطفى عمارة.

١١- التعريفات. الشريف علي بن محمد الجرجاني. دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

١٢- التعليقات الجلية على العقيدة الطحاوية. أ.د.أحمد بن سعد الغامدي. دار طيبة الخضراء بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٣- تفسير ابن كثير. الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١هـ.

١٤- تفسير البغوي، المسمى (معالم التنزيل) ـ الإمام الحسين بن مسعود البغوي ـ دار المعرفة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، تحقيق خالد العك ومروان سوار.

١٥- تفسير الطبري، المسمى (جامع البيان عن تأويل أي القرآن) ـ الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ.

١٦- تفسير القاسمي، المسمى (محاسن التأويل). الإمام محمد جمال الدين القاسمي. دار الفكر في بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

١٧- التوحيد الذي هو حق الله على العبيد. الإمام محمد بن عبد الوهاب. مطبوعات أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية.

١٨- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل. الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة. دار الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دراسة وتحقيق د.عبدالعزيز الشهوان.

١٩- التوقيف على مهمات التعاريف. محمد بن عبدالرحمن المناوي. دار الفكر المعاصر في بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق د.محمد رضوان الداية.

٢٠- تيسير العزيز الحميد (شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب) . الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب . نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض.

٢١- جامع بيان العلم وفضله. الإمام يوسف بن عبدالبر. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع بالدمام، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري.

٢٢- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي الشهير بابن القيم. دار الكتب العلمية في بيروت.

٢٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني . الناشر: دار الكتاب العربي في بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.

٢٤- الزهد. الإمام أحمد بن حنبل. دار الكتب العلمية في بيروت ١٣٩٨هـ.

٢٥- الزواجر عن اقتراف الكبائر. أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي

الهيتمي . دار المعرفة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، تعليق محمد حلبي وخليل شيحا.

٢٦- سنن أبي داود . الإمام سليمان بن الأشعث . دار الحديث، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد.

٢٧- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) . أبو عيسى محمد سورة . دار إحياء التراث العربي في بيروت، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر.

٢٨- شرح الأصول الخمسة . القاضي عبد الجبار بن أحمد . الناشر: مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ.

٢٩- شرح العقيدة الطحاوية . الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك . دار التدمرية بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ، إعداد عبدالرحمن بن صالح السديس.

٣٠- شرح العقيدة الطحاوية . الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي . مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، تحقيق د.عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط.

٣١- شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية . شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.

٣٢- شرح النووي لصحيح مسلم . الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي . المطبعة المصرية ومكتبتها.

٣٣- الشريعة . الإمام محمد بن الحسين الآجري . دار الوطن للنشر بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دراسة وتحقيق د.عبدالله بن عمر الدميجي.

٣٤- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) . إسماعيل بن حماد الجوهري . دار العلم للملايين، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار.

٣٥- صحيح البخاري . الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . المكتبة الإسلامية باستنبول ١٩٨١م.

٣٦- صحيح مسلم . الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٣هـ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

٣٧- عقيدة السلف وأصحاب الحديث . الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن

الصابوني . دار العاصمة للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دراسة وتحقيق د.ناصر بن عبدالرحمن الجديع.

٣٨- العقيدة الطحاوية . الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي . دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٣٩- العقيدة الواسطية . شيخ الإسلام ابن تيمية . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠١هـ.

٤٠- فتح الباري (شرح صحيح الإمام البخاري) . الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تحقيق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

٤١- فتح المجيد (شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب) . الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ . طبع ونشر الرئاسة العامة للإفتاء بالرياض ١٤٠٣هـ.

٤٢- الفرق بين الفرق . عبد القاهر البغدادي . منشورات دار الآفاق الجديدة في بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ.

٤٣- الفروق في اللغة . أبو هلال العسكري . منشورات دار الآفاق الجديدة في بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.

٤٤- الفصل في الملل والأهواء والنحل . الإمام علي بن أحمد بن حزم الظاهري . دار المعرفة، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

٤٥- القاموس المحيط . أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروزآبادي . دار الكتب العلمية ١٣٩٩هـ، ترتيب الطاهر أحمد الزاوي.

٤٦- القول السديد (شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب) ـ الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي . دار الوطن للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٤٧- القول المفيد (شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب) ـ الشيخ محمد بن صالح العثيمين . دار العاصمة للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ تحقيق د.سليمان بن عبدالله أبا الخيل، د.خالد بن علي المشيقح.

٤٨- الكبائر . الإمام شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي . دار الكتاب العربي في بيروت

١٤٢٥هـ، تحقيق عبدالرزاق المهدي.

٤٩- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة. الحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي. مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي.

٥٠- لسان العرب. محمد بن مكرم بن منظور. دار صادر في بيروت.

٥١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. الحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي. منشورات دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

٥٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. دار العربية، الطبعة الأولى، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد.

٥٣- مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز. دار الوطن بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، إعداد أ.د. عبدالله بن محمد الطيار والشيخ أحمد بن عبدالعزيز بن باز.

٥٤- المجموع الثمين من فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين. دار الوطن للنشر بالرياض، الطبعة الثانية ١٤١١هـ، جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان.

٥٥- مختصر منهاج القاصدين. الإمام أحمد بن محمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي. المكتب الإسلامي في بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ.

٥٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. الإمام ابن قيم الجوزية. دار الكتاب العربي في بيروت ١٣٩٢هـ، تحقيق محمد حامد الفقي.

٥٧- مسائل الإمام أحمد بن حنبل (رواية إسحاق بن إبراهيم النيسابوري). المكتب الإسلامي في بيروت ١٤٠٠هـ، تحقيق زهير الشاويش.

٥٨- المستدرك على الصحيحين. الإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري. دار الكتاب العربي في بيروت.

٥٩- المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، جمع وترتيب محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن قاسم.

٦٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر في بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.

٦١- مسند الإمام أحمد بن حنبل . مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، تحقيق جماعة من الباحثين.
٦٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي . أحمد بن محمد بن علي الفيومي . المكتبة العلمية في بيروت.
٦٣- المصنف . الحافظ عبدالرزاق بن همام الصنعاني . المكتب الإسلامي في بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.
٦٤- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد . الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي . الناشر: جماعة إحياء التراث.
٦٥- معاني القرآن . أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء . عالم الكتب في بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.
٦٦- معجم مقاييس اللغة - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون.
٦٧- المفردات في غريب القرآن . أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني . دار المعرفة في بيروت، تحقيق محمد سيد كيلاني.
٦٨- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين . أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري . طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ.
٦٩- الملل والنحل . أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني . دار المعرفة للطباعة والنشر في بيروت ١٤٠٠هـ، تحقيق محمد سيد كيلاني.
٧٠- المنهاج في شعب الإيمان . الحافظ أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي . دار الفكر، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، تحقيق حلمي محمد فودة.
٧١- موانع إنفاذ الوعيد . د.عيسى بن عبدالله السعدي . دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
٧٢- النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد . جاسم الفهيد الدوسري . دار الخلفاء للكتاب الإسلامي بالكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
٧٣- النهاية في غريب الحديث والأثر . المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير . دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي.